بعبدا المُشتاقة تستعيد جنرالها... رئيسًا

زعيم مسيحي بكتلة نيابية كالتي خبرها في انتخابات 2005 و2009، وان يمسي مفتاح تأليف الحكومات وتعثرها الى حد اعلان حكومة الرئيس سعد الحريري عام 2009 من الرابية، وكذلك اسقاطها منها عام 2011، ويحوز لوحده ثلث حكومة الرئيس نجيب ميقاتي عام 2011، وان توصد الطريق الى انتخاب رئيس للجمهورية ما لم يسلّم بانتخاب سواه شأن عام 2008. بل ان يقول في الاستحقاق الحالي انه مستعد كي يستشهد من اجله.

مغزى العبارة تلك بسيط مقدار ما هو شائك ومنهك: اما عون مرشح اذ ذاك لا رئيس، او هو رئيس اذ ذاك لا مرشحين آخرين. بالوصول الى جلسة اليوم بأوراق بيض محتشمة للدلالة على الاعتراض، يتأكد الجميع ان المرشح واحد فقط لأن الرئيس واحد فقط.

على ابواب استحقاق 2014، كان عون قد استنفد كل ما كان يسعه ان يقدمه حتى هذا الوقت. مذ ذاك قرر ان يأخذ. ان يعود هذه المرة الى الباب الذي طرقه للمرة الاولى قبل 28 عاماً، ومكث وراءه، في قصر بعبدا، 13 شهراً.

تجعل المفارقة عون الرجل الذي طارده عهدا الرئيسين الياس هراوي واميل لحود، وتواطآت على إبعاده والاصرار على ايصاد الابواب دون عودته الحكومات المتعاقبة كلها، برؤسائها ووزرائها بلا استثناء، تارة بتهمة التمرد على الشرعية، وطوراً بالاختلاس والسطو على اموال عامة وملاحقته امام المجلس العدلي، وثالثة بتحريكه الشارع. امسى آخيراً حاجة حتمية للاستقرار.

ليس وحده الذي تغيّر الآن، بل كل الذين من حوله، خصوماً واعداء وحلفاء، تبدلوا مثله. وربما اكثر منه.

فيفيان عقيقي

تختلف التحضيرات في قضاء بعبدا لاستقبال العماد ميشال عون، رئيساً للجمهوريّة، عن كلّ المناطق الأخرى. هنا كلّ شيء يجب أن يكون لائقاً للعودة المرتقبة منذ 26 عاماً و18 يوماً... طريق القصر المهجورة منذ أكثر من عامين، تحيط بها إجراءات أمنيّة مشدّدة يفرضها الحرس الجمهوري، اخترقتها منذ أسبوع حركة الناشطين العونيين لرفع لافتات الترحيب وصور «عماد الجمهوريّة».

لقضاء بعبدا خصوصيّة في مسيرة النضال العوني، وخصوصاً ساحله؛ من عاصمة القضاء التي احتضنته في قصرها سنتين (1988 ـ 1990)، إلى الحدت التي شكّلت خطّ الدفاع عن قصر بعبدا وسيادة الدولة، مروراً بكفرشيما التي قدّمت المناضلين، ووصولاً إلى حارة حريك مسقط رأسه. كلّها شهدت مراحل النضال والمواجهة، وانتظرت يوم النصر.

إنّ من يجول في بلدات القضاء، سيلحظ وحدة ما طاغية عليها، لا بسبب مراعاة معايير التنظيم المدني فيها، بل لانتشار صور العماد ميشال عون حتى في أصغر الأحياء. بعبدا التي كانت تتوقّع عودته إلى أحضانها عام 2005 رئيساً سحبته كسروان منها نائباً. وبعد أن انتظرته عام 2008 خيّب «اتفاق الدوحة» آمالها. فأتى عام 2016 ومعه ترقب ثالث، «والثالثة ثابتة».

انطلقت الاستعدادات لاستقبال الرئيس منذ أسبوع. النشاط والحماسة استثنائيان، والعمل المطلوب كثير، لكن الوقت لا يمرّ بسهولة. كلّ مكاتب التيار تحوّلت خلية نحل، وكذلك غرف بلديتي الحدت وحارة حريك.

الفرح يعمّ «الحارة»، البلدة الفقيرة التي ولد وكبر فيها ابن الفلاح وبائع الحليب، وقدّمته للجيش قائداً ومن ثمّ لتياره زعيماً، وها هي اليوم تهديه للوطن رئيساً. والمنزل الذي عاش فيه ميشال عون بالإيجار تحوّل إلى موقف خلفيّ لقناة «المنار»، لذلك انتقلت الاحتفالات إلى باحة كنيسة مار يوسف، التي نال سرّ المعموديّة فيها منذ 80 عاماً، وتزوّج فيها منذ 48 عاماً. هناك نُصبت الشاشات العملاقة لمواكبة مجريات جلسة الانتخاب، ورفعت اللافتات والصور والزينة، لينطلق الاحتفال عند العاشرة صباحاً بمشاركة أهالي البلدة والجوار، قبل أن ينتقلوا إلى الحدت لاستقباله، حتى صديقه الحلّاق محمود الذي أكل الشيب رأسه والتجاعيد وجهه، سيصعد إلى طريق القصر لملاقاة «أبو الميش»، كما يحلو له مناداته.

«مظاهر الفرح تسيطر على البلدة منذ أسبوع»، بحسب ما يؤكّد رئيس بلدية حارة حريك زياد واكد، «فالأهالي يحبّون العماد ميشال عون، وينتظرون هذه اللحظة منذ سنين، حتى أجواء قدّاس الأحد كانت احتفاليّة بامتياز باعتباره الأمل الباقي لهذا الوطن، والبطل الذي رفع رأسها ولم يساوم على حقّ شعبه»، ويتابع واكد (وهو مناضل عوني ومنسّق التيار السابق في بعبدا): «الحمد لله نضالنا أوصلنا إلى هنا».

في الحدت الاحتفال الأكبر، البلدة التي قدّمت الشهداء في حرب التحرير وكانت خطّ التماس للمناطق الحرّة، ستشهد عرساً بانتظار وصول موكب «الرئيس» لتذبح له الأضاحي، وتطلق له المفرقعات الناريّة لأكثر من ساعة ونصف ساعة. فالخصوصيّة التي عاشها أهالي الحدت، وقربهم الجغرافي من «بيت الشعب»، ومكانة الجنرال لديهم ومكانتهم لديه، تدفعهم لتحويل الحدث إلى تاريخي.

من بيته البعيد 100 متر عن القصر، يستعدّ طانيوس جبّور، الذي كان من أوائل من لبّوا نداء حرب التحرير، للاحتفال بالنصر الذي سُلب منهم، فهو لم ينسَ يوم ليلة 12 ـ 13 تشرين، التي شهد فيها «على نظافة ميشال عون الذي أبى التوقيع على وثيقة تسليم بلده»، وشاهد رفاقه يسقطون شهداء قربه. من أجلهم كلّهم، سيحتفل و«الاحتفال لن يكون أقل من عرس».

تنسحب الحماسة من أهالي البلدة إلى الناشطين، منسّق التيار في قضاء بعبدا ربيع طرّاف لا يهدأ، ولا يضيّع الوقت، يستغل الوقت بين الاتصال والآخر لرفع صورة للعماد، بالنسبة إليه، هو يجني اليوم ثمرة نضال امتدّ 26 عاماً، انتخب ورفاقه خلالها ميشال عون ملايين المرّات بأقدامهم، وهم ينتظرون استعادة الأمانة، ويتابع: «من صباح الثلاثاء أستطيع تقديم استقالتي، لو أردت، لأنني مطمئن البال على مستقبل لبنان»، وينهي قائلاً: «نحن اليوم نخسر العماد عون بيننا، ليربحه الوطن».

في 13 تشرين الأوّل 1990 وقف العالم بأسره ضدّ العماد عون، ولم يبقَ معه سوى شعبه العظيم الذي لم يخف يوماً من تكرار اسمه ورفع صوره والمطالبة بالحرية والسيادة والاستقلال. بعد 26 عاماً شعبه لم يتركه، إنّما خسره لمصلحة الوطن، حتى خصومه وقفوا معه بعد أن تدحرجوا كأحجار الدومينو أمام حقّه بالوصول إلى سدّة الرئاسة الأولى، لما يمثّل من شرعيّة وشعبيّة.

وقوف رئيس المجلس النيابي ليعلن اسم العماد ميشال عون رئيساً للجمهوريّة اللبنانيّة، أمرٌ لم يشكّك فيه العونيون يوماً. حلموا به رغم اتهامهم بالسذاجة، ناضلوا من أجل الحريّة والتحرّر واضطهدوا ولم ييأسوا. اليوم حلمهم بات حقيقة، قد يصعب على البعض تصديقها ولكنها الحقيقة، التي ستطلق عهداً يثق شعب عون أنه سيكون مختلفاً عن غيره من العهود... ولو كانت العراقيل كثيرة.

بعد 26 عاماً من الانتظار تستعد بعبدا وأهاليها لاستعادة الأمانة (أ ف ب)

عودة الروح إلى العونيين: أخيراً انتصرنا

غسان سعود

حين انكسر الحلم العوني في 13 تشرين الأول 1990، قمعت دفعة واحدة مجموعة مشاعر، وخلت فجأة باحات قصر بعبدا وطرقات القصر وشرفات المنازل و«كونفوايات» الشوارع، فيما أحكم المنسحبون إغلاق الأبواب والنوافذ على أنفسهم. وطوال 15 عاماً، لم يترك الشباب والعماد ميشال عون وسيلة إلا استخدموها لإخراج أهلهم من اللامبالاة السياسية التي يعيشون فيها، لكن عبثاً. وحتى حين عاد الجنرال وزاروا الرابية، وحين كانوا يدلون بأصواتهم تأييداً له، إنما كانوا يفعلون ذلك ببرودة شديدة وكأن هوة كبيرة تفصلهم عن حماستهم السابقة. كانوا، باختصار شديد، عونيين بلا روح. لكن في اليومين الماضيين، حين تأكد أمر انتخاب الجنرال رئيساً للجمهورية، فتحت النوافذ والأبواب المغلقة، وأزاح كثيرون الحجر عن صدرهم: نعم، نحن عونيون وانتخاب عون رئيساً انتصار لنا. الأمر هنا لا يتعلق طبعاً بالسليمانيين ـ اللحوديين. الهراويين الذين يقنعون كل عهد بأنهم رجالاته، إنما بمواطنين عاديين لا يبالون بفتات السلطة من قريب أو بعيد. لكن عون نجح بلحظة في تكوين إيمانهم بالبلد، وحين كُسر عون فقدوا الأمل. والآن هم يعلمون أن انتخاب عون رئيساً بكل استحالاته أسهل من زج موظف فاسد واحد في السجن ولن تحل أزمة الكهرباء غداً أو يصبح بإمكان أبنائهم شراء شقة سكنية. لكن وجود رئيس يتمتع بالكرامة أمر يستحق الاحتفال بحد ذاته. كل ما يشاع في الصالونات السياسية والصحافة وغيرها عن تسويات سياسية وتنازلات متبادلة لا يعني هؤلاء من قريب أو بعيد. ما يعنيهم هو عودة عون إلى بعبدا. وأياً كان ما يدعيه فريد مكاري وهادي حبيش وعاطف مجدلاني ونبيل دو فريج وسيرج طورسركيسيان، لن يتغير اقتناع هؤلاء بأن سمير جعجع وفؤاد السنيورة ونبيه بري يعرفون ميشال عون جيداً، وهذا بالطبع أسوأ كوابيسهم. ولا شك في هذا السياق أن موقف الرئيس نبيه بري عزّز الحماسة الشعبية. فالرأي العام يعلم أنه سيكون رئيساً غصباً عنهم جميعاً. ورئيساً يمكن أن يسمع ويناقش ويصبر ويأخذ ويعطي، لكنه في الوقت نفسه رجل عنيد متمرد بطبعه لا يمكن التذاكي عليه أو القفز فوقه. ولا شك في هذا السياق أن من لا يحبون عون دون تحزب لغيره يبالغون في سلبيتهم تجاهه. فعلى الصعيد الحزبي التنظيمي، هناك الكثير من الملاحظات السلبية طبعاً. لكنه حزب يجري انتخابات مناطقية وقطاعية كاملة، ويضع تقويماً انتخابياً لمرشحيه إلى الانتخابات النيابية وغيرها. وعلى الصعيد الوزاري؛ وزّر عون صهره نعم. لكنه بحث عن أحد أكثر المحامين كفاءة حين أسندت إليه وزارة العدل فأعطاها لنقيب المحامين السابق شكيب قرطباوي لا لأحد أزلامه أو حتى أحد الحزبيين لمجرد أنه حزبي. وبمعزل عن تقويم التجربة الوزارية بحد ذاتها ونجاح الوزير أو فشله، حين اختار عون فادي عبود وزيراً كان يعتقد أنه سيحصل على وزارة الصناعة فاختار رئيس جمعية الصناعيين، رغم أنه غير منتسب إلى التيار الوطني الحر. وحين أسندت إليه وزارة التربية، اختار الياس بوصعب باعتباره صاحب تجربتين ناجحتين، سواء في إدارة الجامعة الأميركية في دبي أو في رئاسة بلدية ضهور الشوير، رغم أن بوصعب أيضاً لم يكن منتمياً إلى التيار أو متملقاً لعون أو غيره. وقبل ذلك بكثير حين اختلى عون بنفسه لاختيار مرشحيه إلى الانتخابات النيابية عام 2005، عمد إلى اختيار الأطباء النافذين خدماتياً في مناطقهم مطعماً لوائحه بملتزم واحد في التيار في كل قضاء. وفي الانتخابات البلدية الأخيرة، لم تسأل الرابية أخيراً أي مرشح هو الحزبيّ إنما سألت عن الأفضل لبلدته دوماً والأقوى شعبياً. وهو أمر مزعج بالنسبة إلى الحزبيين الذي يعتقدون بأن البطاقة الحزبية تعوضهم نقص الكفاءة أو الحماسة أو التجربة العملية، لكنه أمر مفيد حين يتعلق الأمر برئاسة الجمهورية.

عون في بعبدا أمر لم يكن البتة في الحسبان، وما سيحصل اليوم عند الظهيرة ليس مدبراً أو منسقاً مسبقاً أو مفتعلاً. فهروع من لا يتجاوز أجره الشهري خمسمئة دولار لشراء مفرقعات بألف دولار، والسيارات التي لم تنم منذ ثلاثة أيام، وهذا الارتياح العارم يشي بأن الحجر الثقيل قد أزيح أخيراً عن الصدور، وكل ما يحكى عن حماسة شعبية في بعض الأوساط ليس إلا نزراً يسيراً مما تعيشه بعض المؤسسات مثل المؤسسة العسكرية.

كل ما يحكى عن حماسة شعبية ليس إلا نزراً يسيراً مما تعيشه بعض المؤسسات مثل الجيش

وجود رئيس يتمتع بالكرامة إنجاز بحد ذاته (مروان طحطح)